

العنوان:	مناهج البحث عند ابن حزم الاندلسي
المؤلف الرئيسي:	الزعبي، انور خالد قسيم
مؤلفين آخرين:	خليفات، سحبان محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1994
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 101
رقم MD:	549786
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفلسفة الاسلامية، طرق البحث، ابن حزم الاندلسي، علي بن احمد، ت 456هـ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/549786

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

الزعيبي، انور خالد قسيم، و خليفات، سحبان محمود. (1994). مناهج البحث عند ابن حزم
الاندلسي (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الاردنية، عمان. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/549786>

أسلوب MLA

الزعيبي، انور خالد قسيم، و سحبان محمود خليفات. "مناهج البحث عند ابن حزم الاندلسي"
رسالة ماجستير. الجامعة الاردنية، عمان، 1994. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/549786>

خاتمة

بينما في الفصول السابقة ، التوجهات المعرفية لابن حزم في معالجة الموضوعات الفلسفية ، والعلمية ، والدينية . وأن هذه التوجهات محكومة بنظرة فلسفية متميزة تختلف عن التوجهات المعرفية السائدة في عصره . وأنها تصدر عن منظور منهجي ليس تقليدياً . أو مماثلاً ، أو حتى قريب الشبه ، من المواقف المنهجية التي عرفت قبله أو في عصره .

وإذا نظرنا من خلال النظرة التقليدية لفكر ابن حزم . فإننا سننطل عليه - في هذه الحالة - من موقع يرينا إياه مختلفاً عن الآخرين فحسب ، وقد أدرك هذا كل من درس فكره ، وربما على أساس من هذه النظرة نُظر إليه باستغراب .

وباجتهادي ، فإن تحكيم النظرة التقليدية عند النظر في فكر ابن حزم ، هو الذي حال بين الباحثين وبين عدم استساغة الحقيقة الجديدة غير المألوفة في فكره . تماماً ، كما أن تذوق نكهة فاكهة غير مألوفة قد يصرفنا عن اكتشاف الجديد فيها ، وربما عن الانتفاع بقيمتها الغذائية العالية أيضاً .

وهذا ما تعرض له فكر ابن حزم على الحقيقة ، فبالرغم من كل محاولات معاصرة واللاحقين عليه لتذوق مذهبه ، إلا أننا لا نكاد نجد من استساغته أو ألفه حتى وقت قريب ، حيث أخذت نكهة فلسفته تسوغ أكثر فأكثر ، بسبب تعود المعاصرين تذوق نكهات معرفية مختلفة ، وربما قريبة من نكهة فلسفة ابن حزم .

لقد تعامل الأقدمون مع مصطلحات نمطية متداولة ، واهتموا باتجاهات فلسفية محددة ، وقف جهد جلهم ، عن حدود تعميقها . أما ابن حزم فلم يفعل هذا ، بل سعى - شأن أي فيلسوف مجدد- إلى نحت مصطلحه الخاص ، الأكثر ملاءمة للفلسفة التي كان يحاول بناءها . ولإغفال القدماء الجديد في المنهج عند ابن حزم ، وعدم استساغتهم له ، لتعارضه مع المألوف عندهم ، فقد غفلوا أو أغفلوا عد ابن حزم في قائمة الفلاسفة . بل إن أحد المعاصرين لم يعد ابن حزم فيلسوفاً إلا على إستحياء فقال : أنه « مجرد دارس للفلسفة ومروج لها » (١١:١٣) .

أما إذا حاولنا البحث عن رؤية غير نمطية ، فلا شك أن الباب سيفتح لنا على مصراعيه . ليبرز ابن حزم منه واحداً من ألمع الفلاسفة المجددين في الإسلام . إذ لم يقف الجديد الذي قدمه للفلسفة عند حدود الموضوعات التي رآها جديرة باهتمام الفلاسفة فحسب

، بل تعدى هذا إلى النظرة أو الطريقة الفلسفية التي يجب أن نعالج بها هذه الموضوعات . فإذا كان بعض المفكرين قد توسع - من خلال نظريته الخاصة - في الأحكام التي يطلقها وبدون حساب .. وبعضهم الآخر ضيق من مجال الأحكام بدون أساس .. فإن ابن حزم قد حاول التأسيس الفلسفي للموقف الذي يجب أن نطل منه على هذا الموضوعات . مما جعل هذه النظرة ثورة على مألوف عصره .

فإذا ما انشغلت النظرة الأولى « المفرطة » في بناء تصوراتها وأبنيتها الفكرية من غير فحص نقدي كاف لقاعدة تركيبها ، وسلمت النظرة الثانية « المقصرة » بموقف غيبي حصرت نفسها في داخله ، فإن نظرة ابن حزم كانت نقدية فاحصة ، تهدف إلى بناء قواعد المعرفة وتأسيسها على نحو لا يرقى إليه الشك . وتؤلف هذه القواعد المنهج الظاهري ، الذي توجه به ابن حزم ، باقتصاد شديد ، لبناء استدلالاته الفلسفية والدينية . ولهذا كان التركيب عنده في غاية الصعوبة ، مثلما شكّل التحليل الجزء الأعظم من عمله ، سواء في مجال التحليل الظاهري ، أو التحليل اللغوي المنطقي ، أو في فحص المشاهدات ومبادئ التجربة ، أو ضمن الخبر التاريخي .

لقد طابق منهج ابن حزم بين العلم والمعرفة من جهة ، ومفهوم الواقع من جهة أخرى ، بل ومفهوم العلم الإلهي ، بحيث لا يوجد في مجال الطبيعة علم مختلف كئيفياً عن علم البشر .

لقد انطلق معاصرو ابن حزم والسابقون عليه ، كما يرى ، من فرضيات غير متينة ، وقبل أن يستوفوا تحليلها . فراحوا يشيدون عوالم مفارقة حفلت بها رؤاهم ، وينادون بجواهر ليست بأجسام ، وأبنية كلامية أقيمت على أسس ومقدمات ظنية أو غيبية ، أساسها قياس الغائب على الشاهد ... كما انشغل المتصوفة بالعوالم الغيبية ودعاري الكشف والإلهام الفردي ، وأخذ الفقهاء بأساليب قاصرة تأخذ بالرأي ، والقياس الظني ، والاستحسان ، وخلافه .

لقد ثار ابن حزم على هذه الطرق الشغبية كما يصفها ، وراح يبحث عن المناهج الأصلح في تحصيل العلم ، مما وجهه تلك الوجهة التي سار فيها . إن المذهب الظاهري - وكما لاحظ طه الحاجري - « رد فعل طبيعي للمذهب القياسي والإسراف فيه »* (١٥: ١٢٠) ، وهو

موقف دوري في تاريخ الفلسفة ، فقد تكرر في الفلسفة المعاصرة ، فبعد كل تلك التركيبات الميتافيزيقية الألمانية الضخمة ، التي قدمها فخته وشلنج وهيغل ، في

القرن التاسع عشر ، جاءت الفلسفات التحليلية لتحد من غلواء هذا التركيب (١٦: ١٣٧) .

ولكن ما هو موضوع التحليل عند ابن حزم ؟

يتجه التحليل عند ابن حزم نحو مكونات الخبرة أولاً ، ثم يتجه إلى تحليل الطبيعة ، كما تبدى عبر المشاهدات والتجارب ، ثم يتناول الخبر بتحليل يعتمد على ما تم إثباته من مناهج بموجب الأساليب السابقة . ثم يتجه إلى تحليل الدعاوي المختلفة ، فيرد منها ما لا يمكن الرجوع به إلى الأوائل التي سبق الوثوق بها ، ولا يستثنى من هذا الموقف المنهجي سوى الشريعة الإسلامية ، وبعض ما جاءت به الديانات الأخرى . فصدق الشريعة يرتد في نظر ابن حزم إلى صدق الخبر بها وهو الرسول ، وصدق الرسول ناتج عن مرافقة المعجزة لدعواه ، فحيث أنه لا يجوز خرق الطبيعة إلا لمن وضعها ورتبها - وقد ثبت قيام هذا الخرق تواتراً -... وكان غرض هذا الخرق تأكيد صدق الرسول حسب ما تخبر به الشريعة نفسها ، فينتج عن ذلك أن الرسول صادق فيما يخبره ، لأنه مؤيد بشهادة ربه له . وبالتالي ، فلا مناص من قبول ما جاء به الرسول ، قولاً وعملاً ، واعتباره وحدة واحدة ، وضمه إلى المقدمات التي سبق الوثوق بها عقلاً وإن جاء فيها ما يتجاوز المعقول .

وهكذا كانت الشريعة الإسلامية عند ابن حزم ، بديلاً أكثر ثقة ومنطقية من المتألفات التقليدية ، بما تحفل به من دعاوى . بشرط أن نفهم هذه الشريعة في ضوء الحقائق التي سبق إثباتها ، وأن يتقيد فهمنا لها في مجال العقل فقط ، وحسب ما تم تقنينه . أما ما يتجاوز مجال العقل - ولا يبطل العقل في الوقت نفسه ولا يعارضه - فيجب الوقف فيه إلى أن يأتي دليل يوضحه على نحو ما .

بيّن مما سبق أن ابن حزم قد نظر إلى العقل على أنه مجرد كيفية ، لا يعمل إلا في مجال الكيفيات ، مما جعل للمعرفة البشرية حدوداً ليس بوسعها أن يتجاوزها إلا متعسفاً . وأنه التزم بهذه الرؤية .

وبهذا يكون ابن حزم قد أخضع المعقول والمنقول ، كلاً على حدة ، لعدة مسارات :

ففي مجال المعقول سار ابن حزم في الخطوات التالية :

أ- بحث نقدياً عن قاعدة أولية ضرورية تفسر المعقول ، فوجدها في الأوائل الحسية والعقلية مما جعله يسوغها على أساس منهجي .

ب- بحث نقدياً عما يمكن أن يتأسس عليها من مناهج ، فوجدها في المشاهدات والتجارب ، ومن ثم في الأخبار المتواترة ، فقتن مناهجها .

ج- بحث إمكانية ضم المقدمات السابقة معاً لبناء استدلالات حقة ؛ فاستدل من خلالها على وجود الله ، وأنه كلي القدرة يفعل ما يشاء .

د- ردّ على أساس مما أنجز ، وبواسطة التحليل اللغوي ، والمنهج الجدلي ، أساليب أخرى مغايرة .

هـ- استعمل الخبر المتواتر ، ومن ثم دليل المعجزة للعبور إلى المنقول .

أما في مجال المنقول ، فقد سار ابن حزم في خطوات أخرى :

أ. حصر ما يشكله المنقول في : القرآن ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، وما ينشأ عنها بالدليل .

ب. فهم جزءاً من المنقول على ظاهره في الجانب الذي لا يعارض فيه المنقول المعقول ، وهو ما يتعلق بالشاهد فقط .

ج. أول جزء آخر تأويلاً ظاهرياً على مقتضى «الدليل» الذي يرجع إلى الحس والعقل ، والنص ، والإجماع .

د. أبقى القسم الأخير من الشريعة على الوقف باعتباره متجاوزاً للمعقول ولكنه لا يعارضه أو يناقضه .

هـ. ردّ أصول المذاهب الفقهية الأخرى باعتبار أنها تفسد المنقول والمعقول معاً ، ولا سند لها من دليل .

والآن . هل نجح ابن حزم في إقامة المنهج الذي سعى إليه ، وهل بلغ اليقين الذي ينشد ؟ .

ربما لا يكون من المغالاة أن نقول إن ابن حزم قد نجح في مجال المعقول نجاحاً كبيراً يشهد بنبوغه وعلو كعبه ، حتى أننا نجد بعض الفلسفات المعاصرة ، ومن قبل ذلك التوجهات البارزة في الفلسفة الحديثة ، قد انشغلت بمثل ما انشغل به ابن حزم ، وتنحو نحوه في نقدها ورفضها للمتيافيزيقا التقليدية ، وعنايتها بالمسألة النقدية ، والإنشغال بمناهج البحث ، وممارسة التحليل على نطاق واسع ، وغير ذلك .

أما في مجال المنقول ، فعلياً أن نقّر بأن الأسس العقلية المسوّغة لاستعمال دليل المعجزة للعبور إلى المنقول فيها نظر !... وعلى أية حال فإن ابن حزم قد نجح على الأقل -

في مجال المنقول - في عقلنة الفكر الديني . ولم يقصر في إعمال المعقول في الشريعة ، ونجح في القاء مزيد من الضوء على النصوص الدينية ، ووفر أساليب برهانية في معالجتها واستيعابها ، وحد من الأساليب الظنية في فهمها . وهاجم كل الأساليب التي ترى أن الدين لا يؤخذ بالحجة ، وبين تناقضها ، مما يجعله أكثر نجاحاً من غيره في هذا المجال ، لاسيما أولئك الذين سموا لعقلنة الشريعة كالمعتزلة والأشاعرة .

إنه لموقف جريء في ذلك العصر ، وقد دافع عنه ابن حزم ، وعمل بمقتضاه مهما كلف هذا من ثمن ، فمن أنكر عقله ، فقد أنكر الذي لولاه لم يعرف ربه ، وأنكر شاهده عليه ، وأنتج له ذلك تكذيب أي شيء . بيد أن هذا العقل لا يعمل إلا في مجال الظاهر حتى في المنقول ، مما دعا ابن حزم بكل الصراحة لأن يعلن :

« أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سر تحته ، كله برهان لا مسامحة فيه ، وأنهموا كل من يدعو أنه يتبع بلا برهان . وكل من ادعى ديانة سرّاً وباطناً فهي دعاوى مخارق . واعلموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكتف من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به : من ابن عم ، أو زوجة ، أو صاحب على شئ من الشريعة كتبه عن الأحمر ، والأسود ، ولا كان عنده عليه السلام سر ، ولا رمز ، ولا باطن . فلو كتبتهم شيئاً لما بلغ كما أمر » (٢٧٥:٢/٩) .

إنها صرخة مدوية للتمسك بالمعقول ، مصدرها : يقين لا يتزعزع ، واجتهاد وصل غاية ، فلم يجد صاحبه من تعارض بينه وبين المنقول ، وإن أقرّ بتجاوز المنقول للعقل بما هو غيب لا ندركه ، ولذلك دعا ابن حزم إلى أن الوقف فيه أولى .

إن ابن حزم أنموذج للمفكر الموسوعي ، المنهجي ، وأنموذج للعالم العامل ، وقد ضيعه المسلمون ردحاً طويلاً . وهو كما قال ابن بسام « ليس ببديع فيما أضيع منه ، فأزهد الناس في عالم أهله ، وقبله أرى العلماء تبريزهم على من يقصر عنهم والحسد داء لا دواء له » .

إنه داعي الإنصاف الذي يجيء دائماً متأخراً ثم يلوح بين الفينة والأخرى .

وقف الخليفة الموحي المنصور على قبره يوماً فقال : « عجباً لمثل هذا الموضع يخرج منه ذلك العالم » ثم يلتفت إلى من بجواره قائلاً « جميع العلماء عيال على ابن حزم » .